ثقافة وأدب

المسرح الفلسطيني

... ومحاكمة الرجل الذي لم يحارب

ضمن مهرجان المسرح العالمي الذي اقيم في دمشق قدمت فرقة المسرح الفلسطيني مسرحية « محاكمة الرجل الذي لم يحارب » للشاعر السوري ممدوح عدوان .

و « محاكمة الرجل الذي لم يحارب » واحد من انجح النصوص التي تناولت هزيمة حزيران

□ مشاهد من المسرحيه □

(بعد النص) هو الديكور .. ففقص الاتهام ناعمدة ترتفع حتى السقف مواجها للجمهور ، منصات الادعاء العام والقاضي والمحامي تشبه واجهات آلات الاوركسترا الموسيقية ، وظهور مقاعدهم اعمدة بمحيط ثلث ففص مستدير حيث يخيل اليك انك لو جمعتهم الثلاثة فسيكونون داخل ففص اتهام كبير واحد ، والانارة تعطي المسرح جوا من كآبة الهزيمة .. و .. استعرارية الهزيمة .

اما الاداء فقد كان (قمة المأساة) فقد كان المشاهد يحس تماما بأن هناك عالما يفصل بين الممثل والشخصية ، في حين كان مفهوم عامل الشخصية من فوق وبانه هو الذي يمنحها قيمتها ، كان البعض الاخر يخلط كثيرا بين شخصيه والشخصية التي يمثلها ، واسوا من الاثنين من كان لا يعرف ماذا يجري اصلا .. فقد قيل له انه يمكن ان يصبح ممثلا بمجرد صعوده خشبة المسرح فصدق حالا .. ولم يضع الفرصة .

وفي هذا المجال تحمل المخرج الكثير من المسؤولية ، فبالاضافة الى انه لم ينجح ولم يوفق الى اكتشاف الاسلوب الملائم للنص فقد عامل الادوار و (الشخصيات) بشيء من اللامبالاة المفروضة ، اي ان المسرحية لم تكن لديه « قضية » وهذا ما كان يجب ان يكون . فقد قتلت بالنهاية (شعرية) المسرحية وجاء الاداء مخطوطا باردا والحركات مفتعلة غير مقنعة .

وبين العرض الذي قدمته فرقة هواة من الجامعة ، والعرض الذي قدمته فرقة المسرح الفلسطيني كان الحديث يدور عن «النص المفقود» وكان علينا ان نلقي ممدوح عدوان .

وممدوح عدوان شاعر وصحفي سوري له ديوانا شعر « الظل الاخضر » و « تلويحة الايدي المتعبة » .. وثالث في لحظات ولادة قريبة « دمي ينقل موناه » وروايا عن حبيبته القنيطرة « الابتر » .

له حضوره الصاخب المليء ، وطموحاته التي لا تسع الصفحات لتعدادها ، وهو كانسان عربي لا تكفي مسامات جلده للتنفيس عن احتراقه الدائم .. لذا فهو دائم البحث عن « خلاص » ، ولا ادري اذا كان يدرك ان خلاص انسان يحترق لم يكن يوما في دائرة احتراقه الدائم ، وان هنالك خطوة كبيرة تبدو مخيفة لكل من لم يقفزها .. وانها هي الخلاص الوحيد .. انها فازة ابو الشكر .. اعرف خصمك ثم واجهه .. والا فستظل تحاكم ، وتحترق وتتلقى الضربات دون ان تضرب ..

وقبل ان نتكلم عن العرض الاخير للمسرحية ، لنتكلم في المسرحية .

● ان الذي يحاكم فعلا ليس هذا الرجل ، بل الواقع العربي اجمالا ، انه واقع غير محارب والانسان فيه معرض للتراجع باستمرار ، الى ان يصل ظهره الى الجدار ، وعندما يحس بالحصار الحقيقي ، يحارب .

وما يهمني ان اقوله – في هذا النص – ان هذا الواقع بمؤسساته الثقافية والسياسية والاجتماعية ، كلها تعمل على صنع انسان مهزوم غير مؤهل للمواجهة ، والجريمة الاساسية في قتل هذا الانسان من الداخل تتحمل وزرها السلطات السياسية المتعاقبة والتاريخ السياسي الحديث .

فالمواطن لا يرى من السلطة الا اجهزة القمع ولهجة الاوامر ، حتى حين تتصرف السلطة تصرفا ما يبدو لصالحه ، اي ان منطق تعاملها معه وحاكمت الانظمة المهزومة وطالبت بمواصلة محاكمتها .

فاحداث المسرحية يجري في ايام هولاكو حيث تنتقل السلطة من بغداد الى الموصل وتصدر امرا للسكان بالبقاء ثم نعمل احد التاجرين وتحاكمه في الموصل لانه تزوج ولم يحارب – وفي نهاية الجلسة الاولى نعلم ان هولاكو قد وصل الى الموصل .. فتنتقل المحكمة الى حمص « لاكمال محاكمة هذا الرجل ! » .. ثم يصل هولاكو الى حمص فتنقل هيئة المحكمة (ايضا) الى دمشق لمواصلة المحاكمة ، لكن الحاجب المكلف دائما بحراسة ونقل المتهم يرى نفسه من خلال حواره مع نفسه ومع المتهم انه يقف فعلا على ارضية واحدة مع هذا المتهم فيطلق سراحه فرفض المتهم الهرب من حمص ، ويغرر القتال .

والمسرحية (وهي مجموعه اسقاطات ذكية على الواقع) تعري كافة الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بانساننا العربي، وتعري كافة المؤسسات السياسية ، الحاكمة ، وحتى تلك التي تقف موقف المعارضة والتي تلتقي بالنهاية مع السلطة في كونها تشترك معها في الارضية الفكرية والافراز الطبقي وبالتالي تلتقي معها مصلحيا ضد كل تحرك من شانه ضرب مواقع السلطة .

كما تفضح المسرحية بذكاء فشل المؤسسات الحزبية البرجوازية في الوصول الى الشارع والغوص في اعماق الانسان المسحوق عندما نرى بوضوح ضياع هذا الانسان ، وافلاسه الفكري وتخبطه ، وعدم وضوح الرؤيا امامه للخيار ، فضلا عن التحرك .

وشخوص المسرحية اسقاطات ناجحة على واقعنا المعاصر .. فابو الشكر (المتهم) الانسان العربي المسحوق التاجر باسمه والمتلقي لكل الضربات وكبش فداء السلطة الي يمثل جهازها التنفيذي الادعاء العام ، القاضي ، وحتى محامي الدفاع الذي يبدو في صف المتهم والذي نجده صديقا حميما للمدعي العام اللذان هما بدورهما يتملقان (السلطان) ويتوددان الى موائده .

والمحامي بعد ذلك هو (المثقف) البرجوازي المتزلف الذي يدعي الحق بالتكلم باسم الطبقات الكادحة ، في الوقت الذي يمنعها فيه من التكلم والدفاع عن نفسها حفاظا على تواجده في مركز المدافع عنها (فنحن لا نسمح له بالتكلام لان كلامه يضره اكثر من ان ينفعه) .

عبدالله وابو سليم صاحبا ابو الشكر هما هذا القطاع من الشعب العربي المتكوء على امجاد الماضي والمتبجح بانتصارات لم يصنعها وبالتالي ايجاد التبرير المنطقي للاضطجاع الريح وتكرار القسم « باننا فتحناها بالامس حتى حدود الصين » و « والله العظيم فتحوها » اما (الحاجب) فهو ذلك الجزء من الطبقة المسحوقة الذي « وظفته » السلطة لخدمتها لكنه لا يجد ارتباطه بها عضويا فهو واع لاستحاله ، ومن خلال مهزلة المحاكمة وتطور الاحداث يكتشف ان الجدار الذي وضعته السلطة بينه وبين ابو الشكر غير موجود اصلا وانهما (هما) وليس احد غيرهما معنيان بالقتال من اجل الارض .

يبقى الكلام عن المسرحية كعمل قدمته فرقة المسرح الفلسطيني وقد سبق لفرقة هواة من الجامعة ان قدمت المسرحية ، وبالتالي كان اقبال المشاهدين (مفهما) بالامل في مشاهدة هذا النتاج الجريء الجيد ، وهذا كان املي ، لكن هذه الفرقة لا تعرف بالبرهان ان ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

ولعل قبل الخوض في مسالة الاداء والاخراج لا بد من ان نسجل بان انجح ما في المسرحية ليس منطلق ايمان به ، حتى في احسن حالاتها . بل من منطلق الوعاية عليه والرغبة في « تدجينه » وهذا ما نراه في المسرحية حيث لا يسمح للمتهم بالكلام في المحكمة ، بل الذي يتكلم عنه دائما هو المحامي ، وهو هذا الوجه من السلطة الذي يبدو ايجابيا .

● بين شخوص المسرحية يبدو المتهم انجازا رائعا لصياغة نموذج الانسان العربي الذي سحقته الانظمة وملايه التنظيمات البرجوازية خيبة ، وهو بخيبته هذه يمثل ادانة كبرى لفشل هذه التنظيمات في الوصول الى الطبقة المسحوقة هذه .

□ يقول الحاجب في ختام المسرحية « انك عنا جميعا ما دمت قد حوكمت عنا جميعا » :

ابو الشكر ، هو المواطن المسحوق تحت وطاة تقلين ، الاول هو الاضطهاد والظلم اللذان يعيقان نموه الانساني ، والثاني هو انتماؤه المخلص للوطن الذي يحتل ويمهمن دون ان يستطيع له شيئا .

ابو الشكر هو فلاحو قريتنا ونازحو المخيمات وقراء الاحياء الشعبية ، هو الطبقة المسحوقة التي لم يصلها شيء الا رواسب الظلم وسياط اجهزة الامن ، انها تعيش في جزيرة معزولة ، فالنفيرات تمر عبر طبقةعازلة تشكلها البرجوازية الصغيرة واجهزة السلطة ، انهم معزولون عن المبادرة للقيام باي دور ، لكنهم هم الذين يدفعون الثمن دائما « لقد خسروا الحرب .. وانا وانت سندفع الثمن » .

اما الشهود اجمالا فهم يدخلون المسرح مهمة رئيسية هي انهم يشكلون وجوها من حياتنا الاجتماعية والسياسية التي هي تفاصيل اعياء ابو الشكر ، عبدالله مثلا نموذج المواطن المتبجح بالماضي والذي يحس ان لا قيمة لديه الان ، ولكنه يهرب من هذا الاحساس بالكذب والادعاء ونقل الاخبار والاتكاء على امجاد الماضي الذي لم يصنعه .

ابو سليم هو الانسان الذي تحترق الارض من حوله وهو مرتاح لانه يضع رجليه في الماء البارد ، والماء البارد هو ذلك النوع من الاطمئنان الغبي الى ان الامور لا بد ان تسير على خير ما يرام بوجوده او عدمه ، لكنه حين يكتشف ان الامور لم تكن على خير ما يرام يعبر انه لم يخبر شيئا وانه ليس مسؤولا عن شيء ما دام لم يندخل في شيء .

● يلاحظ الشاهد انك انفلت القاسي من مهمة « الاشتباك » مع الاحداث وحملته مكتفيا بالفرج ومنتظرا الفرصة لنطق الحكم فهل هي محاولة مماثلة لمحاولات مؤلفين آخرين لتقسيم السلطة الى راس يرتكب وحاشية مسؤولة كل المسؤولية ؟

□ القاضي والمحامي والنائب العام هم جوقة موحدة وهم ليسوا راس السلطة .. ففي المسرحية امر وحاكم عربي وخليفة لم يظهروا على المسرح .. القاضي آت والحكم جاهز في جيبه وكل ما يحدث في المحكمة لا يعنيه في شيء وهو ينتظر دائما ان يوقفوا فضيحتهم اللازم لانبات « الديمقراطية » لينطق حكمه الجاهز (ولن تنطق المحكمة بالاعدام قبل نهاية الجلسة) .

ومن خلال بعض الشهود وطريقة تصرف المحكمة مهم نحس ان المحكمة ذاتها جهاز تنفيذي فهي تعامل بعض الشهود بتجاوز كل اعتبارات المحكمة لانهم « اعلى منها سلطة » اعتبارا من طباخ الامير وحتى المهندس (رجل الشرطة السرية) بينما تعامل شهود آخرين اقل سلطة من سلطتها على اسس عشكرية .

وهكذا فهيئة المحكمة موظفون برتب معينة وهناك رتب اعلى منهم تأمرهم ورتب اقل منهم تتلقى اوامرهم ولا بد من الاخذ بعين الاعتبار طبيعة المسرحية فهي على شكل جلسات محكمة لكن الحدث الداخل في المحاكمة هو الحرب وضياع الوطن ، وفي المسرحية يتضح تماما ان هناك سلطات مهملة في تعاملها مع الناس ومع العدو وانها تقف في طليعة الهاربين دائما مستترة بالعبارات الجميلة .

● الحقيقة التي لا بد من تسجيلها منا ان عنصرين هامين من عناصر عمل مسرحي ناجح لم يلمسهما المشاهد ، بل احس انهما اغتالا النص ، هذان العنصران هما الاداء والاخراج ، انا اعتقد مثلا ان الممثلين كانوا يعاملون النص على اساس انه على اسوأ الاحتمالات فانهم (هم) سيعطون الحوار قيمته وبالتالي لا داعي لمزيد من الجهد ..

□ سبق ان قدم هذا العمل من قبل طلبة وهواة ثم رايته هنا ، فاحسست في هذا العرض ان النص وبالتالي الكاتب (قد اغتيل) وربما كان السبب في نجاح الهواة وفشل هذه الفرقة ان الهواة تعاملوا مع الشخصيات كطموح، ان الممثل الهاوي يطمح ان يصل الى الشخصية ولذلك فان اداءه لها يكون حارا ومخلصا، بينما المحترف (وقد ادى الممثلون من خلال احساسهم بانهم محترفون) ينظر الى نفسه على اساس انه فوق «الشخصية وبالتالي فهو على المسرح « الشخصية ازاءها شخصيته » .

كما ان المخرج قدم عملا واحدا فقط ، تصرف على اساس انه مخرج عظيم ولم يضع لنفسه طموحا ، بل اعتبر انه يتصرف بحرفية ، ولذلك فقد العرض حرارته ، كما انه لم يحسن توظيف حركات الممثلين وجاءت كثير من الحركات مجانية وخاصة حركات الحاجب وهو من اهم شخصيات المسرحية ، وبشكل بالنسبة للمسرحية دور ضابط الايقاع .

● اين تضع ممثلك بين الاعمال التي تناولت الحرب والهزيمة في الايام الاخيرة ؟

● الاعمال التي تناولت الحرب والهزيمة بعد الهزيمة تنقسم الى قسمين ، (والتقسيم تعسفي الى حد ما) القسم الاول هو الذي رصد السلبيات القائمة دون ان يترك نقطة ضوء لطريق النجاة حتى بدا معه ان الهزيمة قدر لا مفر منه واننا سننهزم ايضا ..

والثاني هو الذي فعل ذلك كله وقال اننا سننهزم ايضا .. (اذا لم نفعل شيئا ما) اي ان القسم الثاني اراد ان يوضح اجابياته (اعتبرت التقسيم في البداية تعسفيا لان فضح السلبيات ايضا موقف ايجابي) .

الا ان معظم المسرحيات التي اوضحت ايجابياتها اوقعت نفسها في عملية تنازل للتبرير للسلطة ، (مثال ذلك مسرحية سعد الدين وهبه : سبع سواقي) ومسرحية علي سالم « اوديب انت اللي قتلت الوحش » اعتقد ان اضافات الطريق دون ان تقدم تنازلات، فالمسرحية تنتهي بوصول هولاكو الى حمص وهروب السلطة وكل ما يمثلها من اجهزة وطبعان .. ثم بدا الطريق الصحيح حيث يكتشف الغرباء مسؤولياتهم عن وطنهم ويكتشفون ضرورة تلاحمهم وتصديهم رغم ضعفهم « ستنعلم ونحن نقاتل » .

وتنتهي المسرحية هنا وتبقى حقيقة تاريخية هي ان هولاكو قد هزم قرب حمص ، ليس مهما في المسرحية ان هولاكو هزم ام لم يهزم ، المهم ان الشعب قد خطا الخطوة الاولى الصحيحة ، ولم تكن هذه الخطوة ممكنة ما لم تتصرى السلطة وتتخلى بنذالة عن مسؤولية الوطن .

● اي اك اردت ان تثبت ان الهزيمة كان لها الدور الاساسي في توعية المواطن وبالتالي فهذه ادانة للتنظيمات البرجوازية التي عجزت عن الوصول الى الارض التي يمثلها المسحوقون والفقراء ؟

□ لم يقم من بين السمب من يعري السلطة تعرية كاملة (قبل الهزيمة) لقد قام اناس من نوع محامي الدفاع لا بتنمي طبقيا ولا فكريا الى هؤلاء الناس .

كان المواطنون يعرفون انهم مغبونون لكن غبنهم لا يكون حادا و (حديا) مثلما اصبح بعد الهزيمة ، حيث اكتشفوا انهم مغبونون وموضوعون فريسه للعدو وانهم اخيرا هم الذين يخسرون دائما ، وبالتالي بدا وعيهم بحساسيتهم اي ان الشعب بفعل الهزيمة اكتشف نفسه .

● ماذا تعتقد انك اضفت بعملك هذا ، ماذا قلت للانسان العربي .. ماذا احببت عن تسأله الدائم ما الحل ؟

□ المرحية قدمت حلا يتمثل في ان يتخلص الانسان من طمانينته الكاذبة اولا ، وفي ان يتحالف الغرباء والمسحوقون في كافة المؤسسات (المدنية والعسكرية) فيعبجون كتلة صلبة قادرة على التصدي للعدو الخارجي وقادرة على ان تقول « لا » في وجه الانظمة .

■ نازك ■

□ ممدوح عدوان □

قصائد من لهيب

الثورة الاسبانية

يواصل « الهدف » نشر ترجمات لشعر الثورة الاسبانية (١٩٣٦) نشر باللغة العربية لاول مرة .

شعراء في جنيف

على باب محكم من ذهب ، يقل حين ينطلق
على الساعات ، الساعات ذات العيون المحملقه
على الافاقير التي تنقلب الى اكفان كل ايام الاثنين
خلال القباب الليلية
وخلال ممرات النبيذ الكالحه
من « الآرف » حتى البحر
تتبع سواقي كلمات غميقه
واضواء مغشاة
رعشة غامضة تتردد في ثنايا
الخشب الصديق
حمرة باهتة تولد .
ويولد طريق لا نهاية له . طريق
لا يتيه فيه احد
مرور سريع ، نداء يتعاظم
يحدثنا عن هجوم وعن هزيمه ،
عن جراحين تائهين ، عن سجون مظلمه
عن ارواح احيت دون ان تصرح بحبها
تصاميم مثالية للارض .
وبين الهة متداعية وعذارى متعفنه
ها هو الامل يتلالا

على المناظر المغمورة بالظلام
على الضباب الشرس .
على التوافد الصماء تحت الارض

***

ايها الشعراء بلا وطن ، انتم الذين
كتب عليكم مثلي
ان يخرشوا كلماتهم على صخور
غسق احمر لاسام منهكه
على صخور مدماة حيث ترتفع اياد
تتمنى لو تستطيع ان ترى ولكنها
تتهالك عند الشاطىء
ايها الشعراء المضطهدون اللاحقون
حتى جدار الرمز ، الرمز الاسود
لقمد من للح !
المال الازرق بخور كانه
لبران الشتاء السود
المختبئة تحت السفوح الظليله
حناجر الشعر في الصحراء
تتهامس مرتعشه
فوق الساعات الموقفه
على صفحات المياه العذبه
ونقول لنا :
التاريخ يتابع مسيرته
من « الآرف » حتى البحر
ومن « الآرف » حتى « توليدو »

خوسيه هربرا بيتربه

مجلات

● الثقافة الجديدة ●

صدر العددان ٣٦ و ٣٧ من مجلة الثقافه الجديدة (العراقية) ضم بحوثا ومقالات متنوعة في مجال السياسة والاقتصاد والادب والفن . وتضمن العدد ايضا بيانا للحزب الشيوعي العراقي حول مساهمة الحزب في الوزاره . من مقالات العدد : دور الحركه الفلاحية السوفياتية – صادق جعفر الفلاحي. البطالة والعوامل الكامنة وراءها – د. غانم حمدون . دبمتروف والجبهه الوطنية الموحدة – محمد كريم فتح الله . الحركة الصهيونية العالمية – اعداد بشرى برنو . القضايا النظرية الراهنة – بوريس بونوماريوف . سقوط سياسة الفتنة – بهنام بطرس . البرافدا في عامها السنين – الكسي لوكوفيس . مفاضاة رجل اضاع ذاكرته – عبد الرزاق عبدالواحد . الصالة (قصة) – احمد خلف . بطاقات مبادلة (شعر) – عبدالطاب محمود . الطائر الخشبي (نقد) – سعدي يوسف . الموت الكبير (نقد) – حميد الخاقاني . في المرض الثاني لميله الزاوي – ابراهيم اليسير. نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي ابو مروج .

نقول ، رغم اهمية موضوعات الثقافة الجديدة وعلميتها ورصانتها لكنها – وللاسف – تفتقر الى التبويب والاخراج الفني العصري من الغلاف حتى الغلاف . اللون ونوعية الخط ولون الحرف والفراغات كلها مرصوفة كيفما اتفق. ان شبابا مثقفين يشرفون على مثل هذه المجلة الهامة لا يمكن ان يقعوا في هذا الارباك الفني – حرصا شديدا على المجلة ومحبة صادقة لها ندعو الى دراستها فنيا .

● الطريق ●

العدد الخاص من مجلة الطريق تضمن هذه المرة ملفا عن القصة العراقية الحديثة ساهم فيه قصاصون شباب في ابداء وجهات نظرهم في القصة العراقية كما نشرت الطريق نماذج من هذه القصص. من ضمن موضوعات القصة العراقية اجرى ابراهيم الحريري مقابلة مع الروائي غائب طعمه فرمان تحدث فيها عن تجربته ووجهات نظره في القصة العراقية الحديثة. هذا اضافة الى موضوعات سياسية تضمنها العدد (حركة التحرر العربية بعد خمس سنوات من الهزيمة لابراهيم مصطفى وجورج حداوي بعد الانتخابات ، بعود السؤال نفسه : لمن الديمقراطية في لبنان والمجلس النيابي الجديد بالارقام لجاد نابت وحول التطورات النفطية في العراق لعصام الزعيم والتجارة الخارجية والتخلف والتبعية الاقتصادية في الوطن العربي لكاظم حبيب . والطائفية والنضال القومي ضد الاستعمار لفؤاد شاهين والموقف والرؤية الفكرية في كتابات هارون عبود بقلم يمنى العيد .

● فيلم ●

النشرة السينمائية السورية السابقة تحولت الى مطبوع صغير بعنوان فيلم يقع في ٣٨ صفحة من القطع المتوسط (تصدر عن المؤسسة العامة للسينما بدمشق – مديرية التخطيط والدراسات والاحصاء) في هذا العدد اسهم كل من فيس الزبيدي ونبيل المالح وفيصل الياسري وعمر اميرالاي وهالة الاتاسي .. نامل ان تكون الخطوة التالية تطوير هذا المطبوع الى مجلة تضم البحوث والسيناريوهات والتجارب الجديدة في السينما خدمة لطموح الفيلم العربي البديل .

في الله يا شيخ نصب الفرخان

■ شعر: لميعة عباس عمارة ■

ها معكم نحن
رفاقا من اقصى الارض
من اليابان
الثورة لا تعرف اقليما
والحرية تختصر الاوطان

...

حين يكون الموت المجد
عروسا قبلتها زهرة رمان
ما اسمد من دمه زهرة رمان

...

نحن رفاقكم ، قدر لم تترصده الانواء
ضاحكنا البحر ، غلبناه
وغازلنا الحوريات فنمن
وشاغلنا الربان ..
كالفجر اتينا
لا يلبس اقنعة ، لا تثنيه الوف الاميال

...

نحمل من هيروشيما حفنة موت ..
لنسا جيشا
نحن ثلاثة شبان
من اقصى الارض اتوا
ليقولوا : « ان الظلم جبان
والثورة لا تحبسها جدران » ..
وبحفنة موت
ارمينا وجه الشيطان !

...

نحن رفاق الثورة
والثورة تنبت ثوارا في كل مكان
والثورة سيل وسيول
ثم يجيء الطوفان !.

...

يا وجه الجلاد !
عرفت الرعب
جهلت مداه ..
اكنت تراه يطل من اليابان ؟